

محمد سعيد الريحاني

رؤوس أقلام

(مقالات)

رِيحَانِيَات

عنوان الكتاب : رؤوس أقلام
نوع الكتاب : مقالات غير مصنفة
الكاتب : محمد سعيد الريحاني

حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة للمؤلف

تقديم مجموعة محمد البوزيدي القصصية

"مواويل الأحران"

العديد من كتاب القصة القصيرة استهوتهم الرواية كمحمد شكري ومحمد زفزاف ومحمد أنقار كما استهوت القصة القصيرة العديد من كتاب الرواية في هجرة معكوسة كالروائي المصري الأشهر نجيب محفوظ. لكن تحول الأستاذ محمد البوزيدي من الرواية إلى القصة القصيرة لم يكن مفاجئا على الأقل من منظور قراء القصة القصيرة. فالرجل كان دائما يكتب الرواية بنفس القصة القصيرة بدء من العنوان الذي اختاره لعمله الأول "وطن بحجم غرفة" المكتوب في "رواية بحجم أقصوصة". ففي مجموعته القصصية الجديدة "مواويل الأحران"، يبدو أن محمد البوزيدي وجد أخيرا ضالته وأنه اهتدى إلى سبيله ومبتغاه: الكتابة في جنس القصة القصيرة. ولأن الأمر يتعلق بالمصالحة مع الذات، فقد عمد الكاتب في العمل الراهن إلى مصالحة مضامين نصوصه بأشكال عرضها السردي. ولعل الانتباه لعنات هذا العمل السردي قد يفتح للقارئ الشهية لأسمى ما يطمح إليه: متعة القراءة.

تكن أهمية العنوان في قوة جاذبيته للقارئ، تلك الجاذبية التي تقابلها في مجالات الحياة الأخرى جاذبية اللون والرائحة واللمس. العنوان، كما يراه رولان بارت، يجب أن يثير في القارئ الرغبة في القراءة. هذا عن أهمية اختيار العنوان، أما عن معايير هذا الاختيار، فأعتقد أن هناك نموذجين: النموذج الأول، النموذج العضوي، فهو نموذج العنوان المنتقى من بين النصوص المتضمنة في المجموعة القصصية، فيتماشى مع تقنيات الكتابة السردية ذات التوجه الانفتاحي الحوارية...

أما النموذج الثاني، فهو نموذج العنوان المفروض من خارج النص وهو يتماشى مع تقنيات الكتابة السردية ذات النزوع الشمولي (السرد بضمير الغائب، معرفة السارد المطلقة بماضي وحاضر ومستقبل شخص النص، غياب الحوار...)... ومجموعة الأستاذ محمد البوزيدي القصصية تنتمي لهذا الصنف من السرد. فقد اختار الكاتب "مواويل الأحران" عنوانا للمجموعة من خارج عناوين النصوص الإثني عشر: من يوميات الدخول المدرسي، كرامة ضائعة، مالك الحزن، الرحيل... الرحيل، علي والصحراء، أحلام السراب، اليتيم، هوامش من دفاتر الأحران، ربيع الصيف، ساعات في السجن، من يشعر بالشاعر؟، المستنقع.

كما عزز اختياره هذا باعتماد السرد بضمير الغائب الذي طبع كل النصوص باستثناء نص "الرحيل... الرحيل" المسرود بضمير المتكلم ونص "هوامش من دفاتر الأحران" المحكي بضمير المخاطب:

* "كانت تمتلك معلومات عن المدرسة: تبعد المركزية عنها ب 10 كلم، أهلها كرماء كعادتهم، المدير لا يحضر إلى هناك إلا مرة كل شهر ليستمتع بمأدبة عند شيخ القرية الكريم الذي يوجد ابنه في فرنسا والذي يوفر له كل موارده المالية الذي تجعل موقعه قويا في البلدة، لا مرافق عمومية هناك لكن شبكة الهاتف النقال تغطي الفضاء شرط أن تكون بطاقتك من عيار جوال" ... (نص من يوميات الدخول المدرسي).

* "يسارع الزمن القاسي، وبوحده الخاصة التي تؤنسه كفزاعة غريبة طويلة، يواصل لعن مسار الحياة القاسية التي فرضت عليه طقوسا استثنائية لتوفير لقمة خبز غير سائغة." (نص كرامة ضائعة).

* "يسافر في السراب، يعانق الألم صديقه الوفي، ويستورد لكنة غامضة ليطاوع بها ذاتا اكتشف مؤخرا أنها غرقت في حب سيجارة كازا التي ألف تدخينها منذ 10 سنوات. ومنذ ذلك الوقت يومه يشبه ليله..." (نص مالك الحزن).

* " تشرق الشمس رويدا رويدا ، تخترق الأكوان ، تسافر كما اعتادت منذ زمان غابر في حلقة شبه مفرغة لا تنتهي ، تغير وتعود للغارة كل يوم جديد ، تقتحم أشعتها عنوة الخيمة البسيطة المنسوجة من وبر الإبل والمنتصبة بإحكام في الرمال الغزيرة .

ومع كل صباح ، يعيد الزمن عقاربه العادية ولحظاته المتكررة .

و كالمعتاد ، يوما بعد يوم يستيقظ علي دون إدراك جيد للتوقيت ، يفرك عينيه قليلا ليتيقن أنها اللحظة المناسبة لبدء عمل يوم جديد...قديم ... " (نص علي والصحراء).

* " بعيدا عن الجبل الذي لم يستوعب أحلامه ، بعيدا عن عواء الذئب الذي يخترق صمت الزمان وقسوة المكان ، ينسحب إلى حيث الهدوء ، يسير بتؤدة عجيبة بعيدا بعيدا ... يداعب خصلات شعره التي بدأ الشيب يقتحمها قسرا ... لم يشعر إلا وهو يجد نفسه بعيدا عن منزله لقد وصل لمكان خاص اختاره بعناية" ... (نص أحلام السراب).

* " الساعة العاشرة والنصف صباحا ، وضع المسكين محفظته في باحة الشقة القديمة بالمنزل المتكون من غرفتين ، وانساح ببصره بعيدا في الزقاق .

هاهو يتطلع لحياة يومية جديدة على مقاسه الخاص ، وعلى عتبة المنزل البئيس يقرأ تضاريس حومته القاسية الفقر...ويكرر النقاط المشاهد اليومية المؤلمة" ... (نص اليتيم).

*" في الصيف يأتي الصبي

مترنحا من حرارة مستقبل ضائع

وبعيد كمسافة المليون ميل

فاغرا فاه للذي قد يأتي ولا ولن يأتي " (نص ربيع الصيف).

* " لماذا ما زال الجو باردا ؟ من يعطيه الدفء الذي يفقده ؟ أم هو إحساس داخلي شخصي لا علاقة له بالمناخ ...

هكذا تساعل رشيد في قرارة نفسه ، و هو الغارق في زخم الزمن الرديء ، معتقل سابق ما زال لم يسترح من مأساة ساعات عديدة كانت ظلما و سرايا رغم مرور أشهر على ذكراها الحزينة . " (نص ساعات في السجن).

* " يرسل الشاعر قصائده إلى الصحيفة كمن يتخلص من أوجاع مخاض في ليلة باردة ، حين تغادره في طريقها يقذف ألا ما نفسية تحيط به من كل جانب ، فيحس براحة نفسية أنه قد بلغ الرسالة فهل ستصل للهدف ؟ أم ستبقى صرخات في أودية فارغة لا ترجع حتى صداها القوي الذي تخرج به من القريحة الجريحة . " (نص من يشعر بالشاعر؟).

* " مع كل صباح جديد ، يتأمل عزيز المشهد اليومي من الزجاج في مملكته الخارجة عن القانون ، يسافر لحظات في الخيال ليقدر مداخله الخاصة لهذا اليوم والتي توقع أن تكون كبيرة بالمقارنة مع الحضور المتميز للتجار عوضا عن الطلبة الذين ضاق بهم ذرعا قبل أسبوع " ... (نص المستنقع).

لماذا السرد بضمير الغائب في الوقت الذي تنتعش في المغرب الكتابة بضمير المتكلم والانتصار للسير الذاتية وكتابة اليوميات والمذكرات التي يراهن بعض النقاد المغاربة على كونها "ديوان العرب" الجديد؟

لماذا اختيار عنوان المجموعة من خارج عناوين نصوص المجموعة؟

لماذا اختيار المنحى الشمولي في النص عوض المنحى السائد ، المنحى العضوي؟

إن القراءة الواعية لمجموعة محمد البوزيدي القصصية "مواويل الأحزان" ستثيرها لا محالة المراوحة الثابتة في كل نصوص المجموعة بين رفض الانتماء للنص ورفض الانتماء للمجتمع. فحتى في النص الوحيد المحكي

بضمير المتكلم الذي من المفروض أن يجد القارئ من خلاله ذاته متماهيا ومتطابقا مع السارد والشخصية الرئيسية للحكي في النص، نجد السارد يهرب من مجتمع حلت به اللعنة وخنقته. ففي نص "الرحيل... الرحيل"، نقرأ:

"حملت ذاتي، سحبتها من مستنقع ضاق عهرا بالعاهرة اليومية، لقد فاض الكيل، وتفتقت الحواجز من فرط مارأيت، هل النهار يفتتح صباحه بليل رمادي ولو كان ضوءه أبيض.

أجل، هربت لأحمي كياني، فلا حياة لمن أنادي، وإذا كان التاريخ علمنا أن الفرار هو سلاح العجزة والجبنا، فهنا أصبح كنز الشجعان والأقوياء، لا حل آخر: إما أن تفر فرارا، أو تذوب وسط الطحالب توصل الشرب من الماء العاكر الملوث بقذارة "فكر" ينسنا من كنهه على عجل، الفرار لا يعني الهروب بل يحدد معنى جديدا للحياة، ومن نجى فاز، ومن تنحى جانبا بعيدا عنهم فقد ارتدى في حضن دافئ غالي ونادر.

ها أنذا في الهواء الفسيح أخلق عاليا. كل شيء أمامي واضح حتى الأكثر غموضا عندما كنت مازلت هناك، أنظر من كل الزوايا، لا أعتقد أن أحدا اكتشف انسيابي وإلا لطلب الرفقة في هذا الزمن الذي لا رقيق فيه إلا الذات الحزينة، لو علم بعضهم لقبض علي متلبسا، لا محبة أو رفضا للأمر، لا احتجاجا، ولا...ولا...فالقبط علي ولو من عقب حذائي لا يعني سوى اقتراب غريق في البحر من شخص كاد يصل لشاطئ النجاة والابتعاد كثيرا عن الموج المتلاطم" (نص الرحيل... الرحيل).

فبعد أن ضاق به الوطن في روايته الأولى حتى صار "بحجم غرفة"، يعود الأستاذ محمد البوزيدي في إصداره القصصي الجديد ليؤكد بأن الضيق صار قانونا لا سبيل للإفلات منه إلا عبر عود الريح: الإبداع.

ملاحم اليانكيز في أرض الضاد

(تقديم لكتاب إعلامية الاردنية هذا سرحان)

ما بين "مهنة البحث عن المتاعب" و"مهمة صنع المواقف"، يأتي كتاب الإعلامية العربية المنفردة هذا سرحان محاولة لإعادة لباس العمل الإعلامي العربي وزرته التي تليق به لأداء عمله في هذه المرحلة العصبية من تاريخ الأمة العربية من خلال احترام حق المتلقي في المعرفة وتثبيت واجبه في تحمل المسؤولية مما يجري.

مقالات هذا سرحان المضمنة في هذا الكتاب تشكل عند جمعها وترتيبها مقالة واحدة، قصة واحدة، رواية واحدة، شهادة إثبات وإدانة صارخة لما هو واقع ولما يخطط له أن يصير واقعا. أما دور هذا التقديم للكتاب فهو جمع شتات المقالات الثلاثين ولم شملها لوضعها بين يدي القارئ الذي سيعاود التنشيطية بالطريقة التي تحلو له ليجمعها ثانية بالطريقة التي تناسبه.

مقالات هذا الكتاب تحوم حول حرب الصور والعقد الناتجة عن الصورة المختارة لتقديم الذات وخطورة الصور التي لا زال العرب بعيدين عنها. وهي تدرج من صناعة صورة للذات إلى مدى المعاناة المترتبة عن جعل تلك الصورة مقبولة وواقعية من خلال فرضها بالقوة عبر فرض الرقابة وحتى إطفاء فضائيات الآخرين أو فرضها بهدوء عبر الاختراق. لذلك، فعند تجميعها في هذا التقديم، أخذت هذه المقالات شكل متوالي سردي وفكرية في أن معا إذ يبدأ نص هذا التقديم من السينما لينزل إلى أرض الواقع بإعلامه وسياساته ثم تعود للسينما في الختام كما بدأ.

ففي مقالها "سينما وسياسة وأهداف أخرى" الموقع بتاريخ ٢٤ نوفمبر ٢٠٠٩، تحدد هذا سرحان الصورة العامة التي رسمتها الولايات المتحدة الأمريكية بشكل انفرادي لنفسها وتريد تسويقها للعالم طوعا او قسرا. إذ يجمل مسار فيلم متواضع طبيعة العقدة النفسية التي فرضتها الولايات المتحدة على نفسها: "أفلام الخيال الأمريكية يعتقد البعض أنها مسلية، وتجذبه روعة التصوير والأداء واستخدام التكنولوجيا والخيال، ولكنها في الشكل والمضمون تخدم أهدافاً سياسية، خصوصا في الأفلام التي تعالج موضوعاً خيالياً غريباً مثل غزو كوكب الأرض من سكان الكواكب الأخرى وهم أقرب إلى المسخ، ولكنهم يتحدثون الإنجليزية، ويحاولون تخريب هذا الكوكب العاشر بقيادة أمريكا، ويتحول كوكبنا إلى خراب جراء هذا الغزو أو عوامل طبيعية مجهولة تجعل المشاهد يعتقد أنه يوم القيامة ويوم الحشر، ولكن بقدرة قادر ينقذ علماء واشنطن وجنود الولايات المتحدة هذا الكوكب بانتصارهم على الغزاة، أو مواجهتهم الكوارث الطبيعية (...). علما بأن هذا الأمريكي الذي ينقذ العالم هو الذي يغزو الدول المستقلة ويحتل البلاد الأخرى ويضطهد الشعوب وينهب الثروات كما هو الحال في العراق وأفغانستان..."

وفي مقالها "الأوسكار... خزانة الألم" الموقع بتاريخ ٩ مارس ٢٠١٠، تبرز هذا سرحان كيف صدقت الولايات المتحدة الأمريكية الأكذوبة التي روجتها عن نفسها وصارت تكافئ الأعمل الفنية والسينمائية التي تمجد "البطولة الأمريكية" و"القضية النبيلة" التي "يناضل" من أجلها الجنود الامريكان في أراضي غيرهم: "في الوقت التي كان فيه الرئيس اوباما يتحدث عن نجاح الانتخابات ويشيد بالعملية السياسية ويشير الى الانسحاب العسكري الأمريكي القريب، كانت لجنة مهرجان اوسكار تعلن في صالة كوداك فوز خزانة الألم بجائزة أفضل فيلم وافضل إخراج وافضل نص مكتوب وغيرها. هذا الفيلم (...) كشف عن مضمونه الذي يحمل دعاية سياسية وأمنية واضحة هدفها تجميل دور جيش الاحتلال في العراق وإعطائه دورا إنسانيا فيه تضحية كبرى من اجل الأمريكيين والعراقيين معا كما ان الفيلم يقلل من شأن المقاتل العربي وينضح بالعنصرية ضد العرب. والفيلم يتناول يوميات فرقة عسكرية أمريكية تنجز مهماتها الصعبة بروح التضحية من اجل خدمة العراقيين وخلصهم من اجل تنفيذ اهداف الجيش الامريكي العسكرية في العراق".

لكن الأرقام، وهي سيدة الواقع كما قال لينين مرة، تطالعنا بحالة "اللابطولة" و"الثقة المهزوزة" التي تسود وجدان الجندي الأمريكي القادم لبسط الحرية والديموقراطية والرفاهية في بلدان ما وراء البحار إذ نقرأ في مقال "مات مخدوعا في العراق" الموقع بتاريخ ٩ أبريل ٢٠٠٨،: "لقد رفضت الذهاب الى العراق و هربت لأنني ببساطة لم أود ان يكتب على قبري في يوم من الأيام: مات مخدوعا في العراق." العبارة قالها احد الجنود الأمريكيين الهاربين من الحرب الى كندا محتجا على لاعدالة الحرب وكذب قادته في واشنطن. وتذكر التقارير ان عدد هؤلاء الجنود وصل الى اكثر من ٥٥٠٠ جندي امريكي تحولوا الى قضية خلافية بين الولايات المتحدة و كندا. معظم الجنود الهاربين كانوا ضمن القوات البرية أو قوات مشاة البحرية المارينز الذين وجدوا انفسهم امام مقاومة حقيقية على الأرض فكان الهرب وسيلتهم الوحيدة للنجاة".

وعندما تتساقط الأقنعة وتتوالى الهزائم، يتنامى التوق لصناعة عجل من ذهب، إلى إله قريب، إلى بطل يضمد الجروح والانكسارات... لكن البطولات أنواع. وفي نص "البطل يشغل الإعلام الامريكي" الموقع بتاريخ ٤ يونيو ٢٠٠٧، نقرأ عن بطل من أردنا أنواع الأبطال وفي أسوأ سياقات البطولة: "هيرو" او "البطل" ليس بطلا امريكيا ولا احد جنود المارينز المغاوير او احد مساعدي الرئيس بوش الذين يتساقطون تباعا، بل هو اسم كلب عراقي شغل وسائل الاعلام الامريكية وكان نجما على الصفحات الاولى في واشنطن.. فما هي قصة الكلب "هيرو"؟!؟"

فالبطل في هذا النص ليس أكثر من "كلب" أريد له أن يكون بديلا عاطفيا ورمزا للانتصار الخاسر والكاذب الذي اعلنه الرئيس الامريكي في العراق: "بدأت القصة الصحافية للكلب "هيرو" تتسرب لوسائل الاعلام والصحافة الامريكية عندما شاهدت عائلته امريكية صورة لابنها الضابط جستين رولنز الذي قتل في العراق يحمل "جروا" صغيرا كان قد وجده امام مركز شرطة في العراق فتبناه وكانت اخر صورته له التقطها وهو يحمله وكان اخر حديث له مع اهله يدور حول الكلب . فطلبت العائلة المساعدة الرسمية والشعبية والاعلامية لسحب هذا الكلب من ساحة القتال واعادته الى اهل الضابط القتيل للعناية به والاحتفاظ به كذكرى من ابنهم . وعندما وصل "البطل" الى الولايات المتحدة الامريكية استقبل الكلب استقبالا شعبيا واعلاميا يليق بكلب مثله حضره اهل واصدقاء الضابط. فقد كان في انتظاره في مطار كندي الدولي في نيويورك والد الجندي وامة وخطيبته وفريق من موظفي الحزب الديمقراطي ليسهلوا عملية "لم شمل" الكلب مع عائلته الجديدة اضافة الى طاقم صحافي اعلامي مدجيين بالكاميرات واجهزة التسجيل والمايكروفونات كي لا يغفلون عن التقاط "عو" شاردة من الكلب".

أمام هذا التداعي للصورة النمطية لأمريكا، يبقى السبب هو الإعلام العربي. وفي باب الدرائع المصوغة لإيجاد حجج للهجوم على حصون الإعلام العربي الذي ظل حتى الآن حصنا منيعا على خصوم العروبة، يطالعنا نص "الإعلام الإرهابي" الموقع بتاريخ ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٩، حيث تميظ هذا سرحان اللثام عن المبررات الواهية للهجوم الامريكي: "عندما تجلس امام شاشة التلفاز يجب أن تعرف منذ الان انك تشاهد البرامج الحوارية والأخبار السياسية التي تسمح بها الرقابة الأمريكية. فقد أقر المجلس الامريكي قبل أيام قليلة مشروع قانون يسمح للادارة الأمريكية اتخاذ اجراءات عقابية بحق محطات تلفزة وفضائيات غير امريكية تبث مواد اعلامية او برامج تعتبرها السلطات الأمريكية معادية للولايات المتحدة. وهذا يعني ان ادارات الفضائيات العربية يجب ان تفرض رقابة ذاتية على برامجها او تقوم بتجميل وجه أمريكا القبيح وتسوق سياساتها او تضمن عدم بث برنامج او خبر يشجع على مقاومة الاحتلال الامريكي في افغانستان والعراق".

لتكشف عن العنوان الحقيقي للهجوم على الإعلام العربي: "الادارة الأمريكية المحافظة السابقة لم تنجح في فرض رقابة على الاعلام والثقافة في العالم لكن تريد الان في عهد الرئيس اوباما الحانز على جائزة نوبل للسلام فرض رقابة وعقوبات ضد الاعلام الذي لا يروق لها او لا يسوق سياساتها وهي خطوة تستهدف حقوق الانسان وتعتدي على حريات التعبير ليس في داخل امريكا فقط بل في العالم".

وإذا كانت هذه سياسة الولايات المتحدة الامريكية نحو الإعلام العربي، فإن على دول هذا الإعلام أن تنفذ القرارات المصوغة والوامر الصادرة. وفي باب الرقابة على الإعلام العربي الحر، يطالعنا نص "إعلام مراقب" الموقع بتاريخ ١٤ فبراير، ٢٠١٠ حيث صوبت هذا سرحان قلمها جهة الحكومات العربية التي بدل فتح النوافذ لتجدد الهواء في البيت العربي الذي يبقى أكسجينه هو "الإعلام" المكتوب والمسموع والسمعي-البصري، ترتد في كل الفترات عن فترات نهضاتها المجهضة باستمرار بالعودة في كل حين إلى الاقفال والاصفاد والرقابات تلو الرقابات: "وزراء العرب مشغولون هذه الأيام

بإعداد مشروع مفوضية عامة للإعلام العربي، ومهمة و دور هذه المفوضية ليس من أجل تطوير وتحسين الإعلام ، بل دور رقابي ومهمتها متابعة ومحاسبة الفضائيات "المتمردة" على حالة النمطية في الإعلام الرسمي العربي"
حيث تتخلى الحكومات العربية عن دورها التنموي والحضاري لتصبح مجرد دركي لبزنطة العصر الحديث في محاصرة الفضائيات العربية الحرة وإطفاء جذوتها: "هذا التحرك الرسمي الإعلامي العربي يلتقي بمنصف الطريق مع قرار الكونغرس الأمريكي الذي يفرض رقابة على الفضائيات العربية والإسلامية واتهام بعضها بالترويج للإرهاب وربما المطالبة بإقفال فضائيات معادية للسياسة الأمريكية."

فإذا كان الإعلام العربي الجاد يقف حصنا محصنا تنكسر على أسواره أمواج الدعاية والحروب النفسية وذراعا لامحدودا لمناهضة التطبيع مع خصوم العروبة وقضايا الأمة العربية. فإنه يبقى من الأهمية بمكان التنبيه لمحاولات اختراقه الجارية على قدم وساق ومن ثم اختراق وجدان وفكر وذاكرة وذائقة مشاهديه. ففي باب التنبيه لمحاولات الاختراق الإعلامي، يطالعنا نص "استعدوا... مردوخ قادم" الموقع بتاريخ ٧ مارس ٢٠١٠، حيث صوبت هذا سرحان قلمها جهة باب دخول غيلان الإعلام العربي الجدد المنتسبين في أن لإسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية. حيث نقرأ في مقدمة النص أيقونة الفضائية المعنية: "قبل أيام قليلة شاهدت بالصدفة برنامج "من دون رقابة" على فضائية "LBC" متعددة الجنسيات بالنسبة للمالكين الجدد."

لنتنقل بعد ذلك إلى التشكيك في دواعي فسخ مجال قطاع خطير كقطاع الإعلام لمستثمرين ينتمون إلى مخيم الخصوم ممن سيصبحون على اتصال مباشر بالمشاهد العربي دونما حاجة لرقيب أو حسيب أو حكومة أو أي ضابط من الضوابط: "اعتقد ان البرنامج ينسجم تماما مع نهج الفضائية واهدافها التي تعرض الافلام الاجنبية المشبوهة والبرامج الساقطة اخلاقيا وسياسيا هذه الفضائية التي هي واحدة من سلسلة محطات يمتلكها وجهان لعملة واحدة... الوليد بن طلال وشريكه روبرت مردوخ هذا الاخير الذي دخل شريكا بمبلغ ٧٠ مليون دولار تمثل نسبة ٩ بالمئة من قيمة الشركة الاعلامية التي يمتلكها الوليد وهو مبلغ لا اعتقد ان الامير السعودي- الذي "يخجلنا" تواضعه ويمني علينا بين حين واخر بتبرعاته- بحاجة له، لان الهدف الحقيقي هو مشاركة مردوخ في سلسلة فضائيات عربية..."

لتكشف اللثام عن هوية مردوخ ونواياه التي ليس ضروريا انتظار اختبارها للتأكد منها: "والاخطر على المجتمع العربي من البرامج الفضائية التي ستعيد تكوين الوعي الجمعي عند المشاهد العربي تلك البرامج السياسية التي ستغزونا مع قدوم مردوخ، الذي كرس وقته وثروته لخدمة اسرائيل ومصالحها حتى انه امتلك محطة تلفزة ناطقة باللغة الصينية وهي محطة "فونكس" من اجل خدمة اهدافه السياسية وهو للذين لا يعرفونه دعم المحافظين في غزوهم العراق واحتلاله، ودعم اسرائيل في عدوانها على لبنان عام ٢٠٠٦ ولا يزال يدعم المحافظين الجدد في الولايات المتحدة وسياستهم الداعمة لاسرائيل..."

أمام هذا الهجوم الكبير على الإعلام العربي الجاد والحر، تتضاف السينما والتلفاز كنافذتين للاختراق. وفي هذا الباب، يطالعنا نص "حكايات سمسوم وسموم الفضائيات" الموقع بتاريخ ١٠ نوفمبر ٢٠١٠: "يعد كتاب "السينما الصهيونية شاشة للتضليل" للناقد السينمائي محمد عبيدو من اكثر الكتب اهمية وجرأة كونه ينبه الى الدور الاعلامي والدعائي الخطير الذي يمكن أن تلعبه السينما في نقل الفكر الصهيوني إلى الشعوب وتحسين صورتهم في عيون الجيل الجديد من الشباب العربي. محمد عبيدو لم يتنبه في كتابه الى دور بعض الشاشات العربية والشاشة الفضائية بشكل خاص في الترويج للفكر الصهيوني و تجميل الاحتلال والتعايش بين الضحية والمجرم ونبد العنف بين اطفال فلسطين واطفال المستوطن "الطيب"... محمد عبيدو لم يقل ان دور الشاشة الفضائية هو اخطر واكثر إيلاما في بث افكار صهيونية وتطبيعية بين افراد الاسرة من اطفال وشباب... كما يحدث في برنامج "حكايات سمسوم" الموجه الى الصغار بين ٤-٧ سنوات والذي يبث على شاشة تلفزيوننا الرسمي!!"

وفي هذا السياق، تسرد هذا سرحان عرضا تلفزيونيا كوميديا يبين مدى تغلغل اليد الصهيونية في الشاشة الفضائية دون الحاجة على تدوين الاسم على الجدول في الجينيريك التقديمي والختامي ما دام الهدف مضمون: "وانا اشاهد فيلما سينمائيا اجتماعيا اقرب الى الكوميديا عرض على شاشة عربية يعالج قضية اسرة مقلبة على زواج جماعي لنباتها الثلاث، بكل ما تواجه من تفاصيل ومواقف خلال الإجراءات التي سبقت الزفاف. القصة معقولة والفيلم اجتماعي خفيف احتوى على قفشات ومطبات ومواقف اجتماعية قد تواجهها أي عائلة عربية. لكن الامور لم تتوقف عند هذا الحد فالفيلم حمل مفاجأة غير متوقعة، ففي اللحظة الحاسمة وبينما الاسرة وضيوفاها بانتظار رجل الدين المسيحي (القس) لإتمام الزواج وحفلة

الزفاف غاب القس بسبب حادث سير ادخله المستشفى ليظهر الحاخام اليهودي فيلدمان لينقذ الموقف ويحل المشكلة ويتولى إجراء مراسيم الزواج. هكذا تم تجيير "عمل الخير" وحل المشكلة واخراج الجميع من الموقف المحرج على يدي الحاخام اليهودي "الطيب". القصة اجتماعية عادية والموقف كوميدى قد يضحك عليه المشاهد، لكن الحدث له اهداف نفسانية وسياسية جماعية تصب في محاولة اظهار الحاخام بدور "البطل المنقذ" وهو من اهداف الهيئات اليهودية المسيطرة على السينما والاعلام في امريكا وتسعى الى السيطرة على الكنيسة الأمريكية أيضا. القصة بسيطة تم حبكها بأسلوب ذكي جدا بحيث لا يتنبه المشاهد الامريكى العادي او العربي الى التوظيف المقصود والمخطط له لاعطاء دور رجل الدين اليهودي دور المنقذ عندما تبلغ الازمة ذروتها... توظيف مكشوف ومقصود، بحيث تتلاعب الهيئات اليهودية بعواطف ومشاعر الأمريكيين وتسهل تغلغل الدين اليهودي والفكر الصهيوني الى عمق المجتمع الامريكى العادي دون اعتماد التوجيه المكشوف او التدخل الواضح في شؤون هذا المجتمع."

ولعل مقالة هذا سرحان "لماذا لا ننتج أفلامنا؟!!" الموقعة بتاريخ ٢ فبراير ٢٠٠٩ تبقى أهم خاتمة لهذه المتواليات التي خرجت من رحم السينما لتعود إليه:

"منذ شنت اسرائيل عدوانها الوحشي على غزة بثت احدى الفضائيات فيلما عن النبي موسى والتهيه في سيناء ودخول اليهود الى فلسطين ثلاث مرات او اكثر وهو الفيلم الذي يروج لفكرة ارض الميعاد اي ارض فلسطين التي وعد الله اليهود بها (...).وقد لاحظنا في الفترة الاخيرة كثرة الافلام السينمائية والتلفزيونية حول المحرقة ومعسكرات الاعتقال النازية التي تظهر معاناة اليهود في اوربا خلال الحرب العالمية الثانية وقد كتبت حول هذا الموضوع اكثر من مرة (...).ولمواجهة هذه الموجة المكشوفة في استخدام الفن في السياسة كسلاح اعلامي نستطيع كعرب بما نملك من المال ومن المعاناة ان ننتج سلسلة افلام تذهل العالم وتكشف للرأي العام الغربي جرائم اسرائيل في عدوانها على قطاع غزة حيث نجد سلسلة من القصص والروايات المأساوية في ظل الحصار اللانساني بدل الاكتفاء باعطاء الرخص لانتاج افلام معظمها تُديننا".

عزيز القارئ، هذه المقالات صرخات حالفها الحظ لتحظى بشرف الكتابة، عكس كل الصرخات.
عزيز القارئ، هذه المقالات مواقف لا تحتاج إلى آذان فغايتها إسهاد التاريخ على وظيفة فردية أكملت.
عزيز القارئ، هذه المقالات أمانة بين يديك فانظر ما أنت بها فاعل.

أدب القوة وأدب المعرفة

مقدمة:

جرت العادة أن أبدأ نصوصي (الإبداعية منها على وجه التحديد) باستهلال يحيل على نصوص مغايرة و مرجعيات مختلفة لانتاج احتكاك نصي و حوار معرفي يحزر القارئ من سلطة الصوت الواحد للنص المكتوب ويدفعه لإنتاج نصه الثالث، نصه الخاص به. لكنني في هذه المقالة أستبدل الاستهلال بنص مغاير باستعارة عنوان لدراسة مغايرة لأحد أعلام المعرفة الإنسانية، **طوما الأكويني**. والدراسة تحمل نفس العنوان: **"أدب القوة وأدب المعرفة"** وهي تبعا لثقافة عصره تعتبر كل إنتاج ثقافي أدبا، وتصنف بذلك الأدب إلى صنفين:

أدب معرفة (litterature of knowledge) وهو كل مكتوب يعلمنا أو يغير معارفنا من خلال استدلالات مقنعة وبراہين موضوعية، وفي هذه الخانة تدخل كل الأعمال المصنفة ضمن العلوم الإنسانية. أما **أدب قوة** (litterature of power) فهو كل مكتوب يهز مشاعرنا ووعينا من خلال حسنا بالجمال، وفي هذه الخانة تدخل كل الأعمال المصنفة ضمن الأدب من مسرح وشعر وفنون السرد.

هل يمكن للادب أن يكون موضوعيا؟

عند صدور مجموعتي القصصية **"في انتظار الصباح"**، سألتني إحدى زميلاتي في العمل وقد راعها ما قرأت من عنف مادي ورمزي في النص المحوري للمجموعة القصصية الحاملة لنفس عنوان الأضمومة:

- هل ما كتبتة حدث فعلا؟!...

أجبتها بأن الأمر يتعلق بنص إبداعي تخيلي لا مجال لتوأته بحدث خارجي. لكنها أصرت:

- ولكن إسم الضحية و الظروف المهنية والسياس العام يمكن ان يعاش في أي مكان. هل عشت تلك التجربة؟!...

بما ان الجواب ليس أهم من السؤال، فقد كان علي أن أجيب على سؤالها بسؤال ثان بحثا عن حقيقة تتجاوزنا معا. ولذلك سألتها:

- لو أعطيت قلم ودفتر و طلب منك كتابة سيرتك الذاتية بكل الصدق المتوخى منك، فهل سيكون ما كتبت في دفتر من أربعة وعشرين صفحة هو فعلا الحياة التي عشتها خلال الست والثلاثين ربيعا من عمرك أم الحياة التي تتمنين ان تكوني قد عشتها؟

فأجابت بالقطع بأن السيرة ستكون سيرة حياتها كما عاشتها، وهو ما لم أقبله وكان علي أن ابرر اختلافي معها:

الحياة تكون حياة والمواقع يكون واقعا قبل التحرير والتدوين والكتابة. اما بعد الكتابة فتصبح تلك الحياة وذلك الواقع مشروع حياة جديدة ومشروع واقع جديد. إن الكاتب لا يمكنه ان يكون ناقلا للواقع وناسخا له. الكاتب هو مبدع لواقع جديد ولحياة جديدة. ولن يكون في متناوله في وقت من الأوقات أن يحيد عن هذا الدور حتى ولو اراد ذلك. فالأدب هو الأسلوب، والأسلوب هو الرجل، والرجل له زوايا نظر خاصة به ومبادئ ومواقف ومصالح ومطامح ورهانات واختيارات تتحكم في ما يكتبه فيصبح بالإمكان تحوير

الواقع أو الحياة موضوع الكتابة ملايين المرات بحيث تصبح الحياة الفردية الواحدة حيوات متعددة لامتناهية: حياة تشرد في مجتمع لا مبال كم في "الخبز الحافي" لمحمد شكري، او حياة براءة ودلل كما في "فى الطفولة" لعبد المجيد بن جلون، أو حياة مكرسة للعلم والمعرفة كما في "الأيام" لطف حسين... ولكن هل يعقل أن تكون حياة فردية بأكملها مجرد تشرد، او مجرد براءة، او مجرد علم ومعارف؟!... هذه هي خاصية الادب: خصوصية الأسلوب والخطاب. وهذه هي وظيفة الأدب: التأثير في القارئ بخلق انطباع واحد أو متقارب لدى عموم القراء ، وهذه هي قوته التي بدونها لن يبقى ادبا وينسحب فاسحا لعلوم إنسانية أخرى كالتاريخ والسوسولوجيا وغيرها.

كيف يعبر الخاص (الأدب) عن العام (الوجود):

إن الأديب يعي دوره بامتياز كصاحب مواقف اتجاه الوجود والقضايا المتغيرة التي تشغل بال الإنسانية جمعاء. فالأدب هو موقف مصاغ فنيا اتجاه قضايا موضوعية، أي أنه موقف خاص اتجاه قضايا عامة ... ولهذا فالأعمال الأدبية لا يمكن للقارئ أن يشعر بتكراريتها على مر العصور ولو انها جميعا كانت ولا زالت وستبقى تكتب لنفس القيم التي من أجلها خرجت للوجود كإبداع وكأدب. وهذه القيم هي الحب والأمل والعدل والمساواة والإخاء والكرامة والاعتزاز بالذات واحترام الآخر... وهي نفس القيم التي قرأناها في الأعمال الأدبية منذ ملحمة الإلياذة والأوديسة حتى نصوص اليوم والغد.

والأدب، في سبيل صياغة ذلك الموقف المتفرد من الوجود ومن القضايا العامة، يشغل مجموعة من الأدوات الأسلوبية و الآليات السردية والشعرية والمسرحية بحيث يعبر ذلك الموقف من الوجود ليس عن طريق مضمونه وأفكاره وأقواه واستشهاداته، بل من خلال أساليبه الفنية المبتكرة دوما والتي تميز هذا الأديب عن ذلك مادام كلاهما يكتب عن نفس القيم الإنسانية المنشودة... وقد يتجلى ذلك الموقف من خلال اختيار شخص العمل الأبي والوظائف المنوطة بهم (وظائف مسطحة قارة أو وظائف نامية متحولة) أو من خلال تحديد مصائرهم (بطولة أو إنهزامية). كما قد يتجلى ذلك الموقف من خلال اختيار المكان (مغلق/مفتوح)، أو من خلال اختيار الزمان (راهن/مستقبلي، ظلام/نور). كما يتجلى ذات الموقف من الوجود في العمل الأدبي من خلال الإختيار الفني لنوع الحكمة والتصميم المتبع في سرد الأحداث. ويتجلى أيضا في اختيار السارد الرئيسي للعمل السردى (أنا ساردة، ضمير المخاطب، السارد العالم بكل شيء...). والحوار أيضا من اهم المحددات الفنية داخل العمل الادبي السردى الكاشفة عن الموقف الادبي من الوجود إذ ان لغيابه أو طغيانه دلالة قوية وفعالية هامة في تحويل وجهة العمل الادبي برمته اتجاه اليمين او اليسار...

خاتمة

إن العمل الأدبي ليس تقريرا مختبريا منفصلا عن داتية الكاتب أو الشاعر او المسرحي مبدع العمل. إن الأدب ، سواء كان صرخة أو مجاملة، يبقى موقفا فنيا اتجاه قضية عامة سواء كانت هذه القضية وجودية او سياسية او ثقافية أو اقتصادية... هو موقف ولكنه موقف يعبر عن ذاته من خلال شكله وأساليبه عرضه وليس بمضمونه ومرجعياته. وهذه هي قوة الادب ، وهذه هي خصوصيته.

لا ديوان للعرب دون قواعد جماهيرية قارئة

عندما كنت طالبا جامعيا في بداية التسعينات من القرن الماضي، فاجأتنا مرة الأستاذة الأمريكية المتخصصة في مادة الشعر الإنجليزي، بعدما علمت أن جميع طلبة الأدب الإنجليزي المغاربة لتلك السنة الجامعية اختاروا كموضوع لبحث نيل شهادة الإجازة كل الأجناس الأدبية ما عدا الشعر، إذ قالت: - « ليس الأمر مفاجئا لي على الإطلاق، فلقد كان أول ما عرفته عن الطلبة المغاربة عند قدومي إلى المغرب أنهم لا يحبون الشعر. هكذا قيل لي في المركز الثقافي الأمريكي.»

وبعد مرور أزيد من عقد من الزمن على هذا التصريح، قررت الدخول إلى عالم الكتابة القصصية والنشر، لفاجاني مسؤول في شركة سابريس للنشر أنهم أوقفوا خدمات توزيع الكتاب الإبداعي من شعر وقصة ورواية ومسرح إلى أجل غير مسمى لأن القارئ المغربي لا يقرأ الأعمال الإبداعية وأنهم بصدد التفكير في إنجاز بحث ميداني لفهم جذور المشكلة خلال سنة ٢٠٠٣.

وبعد سنة فقط قرأت على صفحات الجرائد المغربية خبر رفض القاص المغربي الكبير محمد بوزفور لجائزة المغرب للكتاب لسنة ٢٠٠٤ معللا رفضه:

- « أحجل أن أقبض جائزة على كتاب طبعت منه ألف نسخة، لم أوزع منها في أسواق شعب من ثلاثين مليون نسمة إلا خمسمائة نسخة، وهي ما تزال معروضة لم تنفذ بعد، رغم مرور أكثر من عامين. لذلك كله، أعتذر عن عدم استطاعتي قبول جائزة وزارة الثقافة.»

ثم بدأت الأسئلة تتهاطل على دماغي:

لماذا لا يقرأ المغاربة الإبداع المكتوب؟

هل هو احتقار للحلم بغد أجمل؟ هل هو موقف من لا جدوى للإبداع؟

هل للحجم الهائل لنسبة الأمية سلطة وتأثير على القراءة عموما وقراءة الإبداع خصوصا؟

علينا أن نخجل من أنفسنا ونحن نتحدث عن التراكم الأدبي وعن ديوان المغاربة ونرفع الشعارات الكبرى لنزرع تحتها... علينا، ككتاب نطبع ألف نسخة، أن نخجل من أنفسنا ونحن نوهم أنفسنا بالتواصل مع القراء وبالإشعاع والتنوير والحضور... علينا أن نخجل من أنفسنا كقراء ونحن نرى حمى القراءة التي صاحبت صدور روايات ج.ك. رولينز الكاتبة الشابة ذات السبع والثلاثين ربيعا والتي طبعت من الجزء الأخير فقط من روايتها " هاري بوتر " مائتي مليون نسخة لغاية فبراير ٢٠٠٤: وهو الرقم الذي يعادل نسخة لكل مواطن عربي!!!...

الواقع أن لا ديوان لعرب اليوم وأن على الأجيال القادمة وحملة الهم الثقافي العمل على إنتاج هذا الديوان: لتكن القصة أو الرواية أو المسرح أو الشعر... المهم أن يكون ديوانا وعربيا وذا قواعد جماهيرية قارئة وحسبنا ذلك.

جزائر ٢٠٠٧ : عاصمة لأي ثقافة؟

بايعاز من منظمة اليونسكو، وابتداء من سنة ١٩٩٦ تاريخ انطلاقتها بالقاهرة، تعلن جامعة الدول العربية كل سنة عن المدينة التي ستكون "عاصمة للثقافة العربية" لمدة سنة كاملة حافلة بالأنشطة الثقافية تقدم خلالها الإنتاجات الثقافية والفنية المحلية والعربية. ونظرا لنجاح المشروع، فقد اقتنفت منظمة المؤتمر الإسلامي خطى جامعة الدول العربية وأطلقت على لسان من ينوب عنها ثقافيا "المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم" (إيسيسكو) مشروعاً موازياً أطلق عليه اسم "عاصمة الثقافة الإسلامية" وكانت أولى عواصمه مكة المكرمة سنة ٢٠٠٥.

نمت فكرة "عاصمة الثقافة العربية"، أولاً، في وقت تعرف فيه الثقافتان العربية والإسلامية انحسارا وميلاً للتفوق على الذات لذلك تهدف فكرة العواصم الثقافية إلى تحرير الإبداع وتقريب الثقافات العربية في المحيط الواحد وتعزيز الهوية الثقافية ووضع الثقافة في صميم مشاريع التنمية العربية وتعزيز التواصل بين الثقافات العربية البينية وجعل الثقافة أساس العمل العربي المشترك. ثانياً، أنشئت فكرة "عاصمة الثقافة العربية" لمقاومة الانجراف وسط سيل العولمة الثقافية والإعلامية وإرادات الهيمنة للانفراد بتسيير العالم وتوجيه الرأي والذوق. إنها دفاع عن الخصوصية ومقاومة للتهميش وأحادية الثقافة. ثالثاً، أنشئت فكرة "عاصمة الثقافة العربية" للانفتاح على الثقافة وتحريرها، فليس ثمة إنسان حر لم يحرر فكره بعد.

ويعتبر لقب "عاصمة للثقافة العربية" تشريفاً وشهادة استحقاق على صدر المدينة الموشحة والبلد الأم ومناسبة لإعادة الاعتبار للثقافات الوطنية على طول الخريطة العربية. كما أنها فرصة لاستكشاف الهوية والمصالحة مع الذات ومع الآخر. والعواصم العربية التي نالت شرف لقب "عاصمة للثقافة العربية" هي:

- ١٩٩٦: القاهرة

- ١٩٩٧: تونس

- ١٩٩٨: الشارقة

- ١٩٩٩: بيروت

- ٢٠٠٠: الرياض

- ٢٠٠١: الكويت

- ٢٠٠٢: عمان

- ٢٠٠٣: الرباط

- ٢٠٠٤: صنعاء

- ٢٠٠٥: الخرطوم

- ٢٠٠٦: مسقط

- ٢٠٠٧: الجزائر

- ٢٠٠٨: دمشق

دول المغرب العربي كانت دوما تتقاسم الريادة في الثقافة والفنون مما يجعل تكامها الثقافي محتملا لحظة وحدتها المنشودة. فإذا كان المغرب عاصمة للموسيقى والمسرح والقصة القصيرة والنقد الأدبي والفلسفة، فإن تونس عاصمة الشعر والسينما والفنون التشكيلية، لكن الجزائر تبقى العاصمة الأولى للفكر الإسلامي (مالك بن نبي ومحمد أركون...) والرواية (محمد ديب، آسيا جبار، الطاهر وطار، رشيد بوجدر، واسيني الأعرج، أحلام مستغانمي، مليكة مقدم...).

الجزائر، إذن، هي أصلا عاصمة ثقافية لكنها تتطلع لتوسيع مجالات ريادتها ولتأسيسها تقاليد ثقافية وفنية وتكريسها في السلوك اليومي والوجدان الثقافي للمجتمع. لذلك فتوشيحها "عاصمة للثقافة العربية" قد يساعدها على تحقيق تطلعاتها إذا ما تم توخي الحذر من الارتجال التنظيمي والتعامل المناسباتي والمقاربة الفولكلورية المؤسسة على الإرضاء والمجاملة.

يحتفظ التاريخ بسجل لطريقين اثنين عبرت الأمم جسر التقدم من خلالهما ونجحت في إقلاعها المجتمعي: الطريق الأول هو طريق البناء الاقتصادي وسلوكته دول نمور آسيا، أما الطريق الثاني فهو طريق البناء الثقافي وسلوكته أوروبا واليابان موقعتين على أهم حضارتين في التاريخ معتمدتين في قيامهما على "الكتب" بصيغة الجمع وليس "الكتاب" بصيغة المفرد. فقد مرت الحضارة الغربية المعاصرة في شخص أوروبا، قبل أن تستلهم اليابان تجربتها عبر بعثاتها الطلابية أواخر القرن الثامن عشر، بسبع مراحل كانت حاسمة في تشكيل ملامح شخصية أوروبا الحديثة والثقافة الأوروبية المعاصرة:

١- مرحلة الإحياء: زمن جمع الكتب وتحقيقها وتصنيفها وترجمتها، وهو أيضا زمن إنشاء المكتبات العمومية قصد تقريب الكتاب من المواطن.

٢- مرحلة الطباعة: زمن إخراج الكتب إلى الوجود.

٣- مرحلة الثورة العلمية: زمن تحرير العلم من الخرافة.

٤- مرحلة الإصلاح الديني: زمن مصالحة الدين مع الواقع.

٥- مرحلة التنوير الفكري: زمن تحرير الفكر من الأساطير.

٦- مرحلة الثورة الصناعية: زمن البرامج السياسية.

٧- مرحلة الثورة الثقافية أو الثورة الطلابية: زمن تحرير الفكر من الأيديولوجية.

لكن أهم هذه المراحل جميعا هو المرحلة الأساس، مرحلة الإحياء، وهي المرحلة التي تحاول تجربة "عاصمة للثقافة العربية" استلهاها من عصر النهضة الأوروبية تماما كما استلهم الرياضيون تجربة "الألعاب الأولمبية" من قديم عصور الإغريق.

فيوم ٣١ ديسمبر ٢٠٠٦ الموافق لليلة رأس السنة الميلادية الجديدة، سينطلق العرس الثقافي العربي بالجزائر لك "عاصمة للثقافة العربية" لمدة سنة كاملة تصبح بموجبها "قبة للثقافة العربية" يطبع خلالها كتاب كل يوم (٣٦٥ كتاب خلال السنة) بموازاة مع أنشطة ثقافية تغطي كل المجالات الثقافية وتدشين معاهد ومتاحف ومؤسسات ثقافية موازية...

إن زمن الإحياء في طبيعته العربية يمكنه، بموازاة مع طبع الكتب وتوزيعها على المكتبات الجامعية والبلدية والمدرسية في المدن والقرى، تشجيع إنتاج إطارات ثقافية فاعلة، وصحافة ثقافية مواكبة، ودعم أنشطة ثقافية فاعلة، وعقد شراكات ثقافية، وتدشين انفتاح على المجتمع، وتحقيق تعارف المثقفين، وتشجيع التعرف على ثقافات عربية أخرى، وإعداد برنامج ثقافي ملزم يجعل الثقافة في خدمة للشعب، ناشرة لقيم السلم والتسامح والإبداع والتلاقح والحوار والانفتاح وهي القيم التي ضحى من أجلها مثقفو الإنسانية الأوائل بحياتهم فداء لعد أفضل...

إن **مأسسة الثقافة** هي "بذرة" ثقافة الإحياء والضامن لاستمرارية الثقافة على أسس معقنة وثابتة من خلال:

- إنشاء **فضاءات ثقافية**: معاهد موسيقية وفنية، متاحف، معارض، مسارح، سينمات، قاعات محاضرات، مكتبات بلدية في المدن والقرى

- فتح مراكز ثقافية في الخارج.

- وضع آليات جديدة ومبتكرة للعمل الثقافي.

- دعم الإطارات الثقافية ماليا ورمزيا...

- تعيين الرجل المناسب للمكان الثقافي المناسب.

ولعل الميزانية المخصصة لتظاهرة "الجزائر عاصمة للثقافة العربية" والتي تناهز الثلاثة ملايين دينار جزائري تضمّر توقعا رسميا لنتائج أهمها: تأسيس **تقاليد ثقافية جديدة** وترسيخها في مراحل ما بعد ٢٠٠٧ فطبع الكتب وفتح المعارض وإقامة المهرجانات يجب أن تبقى تقاليد ثقافية حتى بعد انتقال شرف "عاصمة للثقافة العربية" لدمشق سنة ٢٠٠٨ وان تدين بالتأسيس لسنة ٢٠٠٧ وألا تنطفئ مع مرور سنة ٢٠٠٧؛ تعزيز اللامركزية بجعل البلاد كلها تشع ثقافيا وليس فقط العاصمة الإدارية للبلاد فتنظيم ٤٨ أسبوعا ثقافيا، وهو نفسه عدد ولايات ومحافظات الجزائر، لن يكون دالا إذا ما انحصر في مدينة واحدة **فاللامركزية** ليست فقط مطلبا سياسيا وإداريا، بل هي مطلب ثقافي أيضا.

لكن **اللامركزية** على مستوى المدن الجزائرية، يجب أن توازيها لامركزية على مستوى جنسيات الأسماء الأدبية المشاركة بحيث تطبع الكتب المقترحة للطبع بناء على جودتها وفائدتها وليس على انتماء كاتبها للبلد المنظم للتظاهرة. وإلا فما معنى أن تكون "الجزائر عاصمة للثقافة العربية" وهي عاصمة نفسها، تشع لنفسها وتنشط السنة كاملة لأبنائها فيما تجلس الدول الخمسة عشر على كراسي الضيوف؟ ما معنى أن تكون "الجزائر قبلة للثقافة العربية" وهي مسيجة ضد دخول الكتاب العربي؟ بل ما جدوى انتظار التتويج بلقب "عاصمة للثقافة العربية" كي تنشر كل دولة أعمال أبنائها في الوقت الذي يمكنها فعل ذلك متى شاءت ودون تتويج؟...

إن الثقافة مكون من مكونات التنمية الشاملة المستدامة. فإذا كان للتنمية ذراع مادي، فالثقافة هي ذراعها الرمزي الثاني ولا غنى للتنمية على ذراعيها: **فلا تنمية دون رواج اقتصادي ولا تنمية دون ثقافة**. لكن الشعار الذي يسبق موكب التنمية هو ما يعطيها مصداقيتها أو يجردها منها. والجزائر عليها إما أن تكون عاصمة للثقافة العربية فتسوي بين الكتاب العرب (من داخل وخارج الجزائر) المقترحين للنشر أو لا تكون وأنداك **وجب عليها تغيير الشعار**.

فصل المقال في ما بين "الرواية التاريخية الإيجابية" و"الرواية التاريخية السلبية" من اتصال

مداخلة محمد سعيد الريحاني في ملف "ماذا بقي من الرواية التاريخية" الذي نشرته جريدة "النصر" الجزائرية بتاريخ الثلاثاء ٣٠ نوفمبر ٢٠١٠ على الصفحات ١١-١٢-١٣-١٤

الرواية والتاريخ ساحلان لانهايتان يقود أولهما إلى الخرافة والأسطورة والتخييل ويؤدي ثانيهما إلى التوثيق والإثبات أما مهمة الجمع بينهما فتتأط عادة بـ "الرواية التاريخية" التي تبقى مسؤوليتها هي "وصل" الرواية بالتاريخ و"إيصال" أحداث ووقائع التاريخ إلى قراء الأدب والإبداع. ولعل هذا الحس بضرورة "الوصل" بين الرواية والتاريخ ناجم عن ضرورة الانتماء إلى هذا "الزمان والمكان" الكبير الذي يسمى اختصارا بـ "التاريخ" والذي ينتج كل الوقائع الإنسانية الصغرى والكبرى ويحتفظ بها مراكما إياها لتطوير حركته وسيرورته.

وقد لعب هذا النوع من الروايات أدوارا طلائعية في الإقلاع الثقافي والحضاري وإن كان صعوده غالبا ما يصادف تنامي الوعي القومي لشعب من الشعوب عبر التاريخ. فقد كانت لمحمتي "الإلياذة" و"الأوديسة" تدرس إجباريا في المجتمع الإغريقي القديم لما فيها من تاريخ لانتصارات الإغريق وأمجاد رموزهم وهو ما ساهم في ضخ دماء الاعتزاز بالانتماء وبالهوية الإغريقية...

لذلك، ينبغي التأكيد على أن "الرواية التاريخية" ليست تأريخا صرفا لعصر من عصور البشرية أو لمرحلة من مراحل شعب من الشعوب ما دامت الحقيقة التاريخية بالنسبة إليه مجرد "مادة" يشتغل عليها لإنتاج الدهشة لدى القارئ. إنها شكل من أشكال "إعادة صياغة التاريخ" بطرق فنية أدبية ولأهداف محددة سلفا: إما لاستنهاض الهمم أو السخرية من مسار التاريخ ذاته أو غيرها...

وما دام "كل إناء بما فيه ينضح"، فإن هذه "المادة التاريخية" المضمنة في هذا الشكل الأدبي، "الرواية"، محكوم على نتائجها مسبقا. فلما كانت هذه "المادة التاريخية" في الملاحم الإغريقية "انتصارات" كان المستوى العام للتلقي إيجابيا وكان التفاعل إيجابيا. ولما صارت "المادة التاريخية" مضمونها الهزائم والخianات والدسائس، دب النفور في نفوس المتلقين خاصة لما صارت "الرواية التاريخية" العربية "تاريخ للهزيمة العربية ولهزائم العرب"...

لذلك، يمكن التمييز بين مرحلتين من مراحل الكتابة والتلقي في مجال "الرواية التاريخية": "الرواية التاريخية الإيجابية" و"الرواية التاريخية السلبية". فبالنسبة لـ "الرواية التاريخية الإيجابية" فقد تزامنت مع النهضة العربية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر والحلم بمواكبة العصر وقد اشتهر بهذا النوع من الكتابة الروائية جورجي زيدان من خلال اثنين وعشرين عملا أولهم "المملوك الشارد" الصادر سنة ١٨٩١. أما "الرواية التاريخية السلبية" فقد تكرست رسميا بعد الهزيمة العربية عام ١٩٦٧ والأمثلة عديدة لكن النتيجة على سبورة القراءة واحدة: همم محبطة وعزوف عن هذا النوع من التأريخ...



السيرة الذاتية لمحمد سعيد الريحاني

محمد سعيد الريحاني، كاتب ومترجم وباحث في الفن والأدب من مواليد ٢٣ ديسمبر ١٩٦٨، عضو هيئة تحرير "مجلة كتابات إفريقية" الأنغلو فونية *African Writing Magazine* والصادرة من مدينة بورنموث *Bournemouth* جنوب إنجلترا، عضو اتحاد كتاب المغرب. صدر له: "الاسم المغربي وإرادة التفرد"، دراسة سيميائية للإسم الفردي (٢٠٠١)، "في انتظار الصباح"، مجموعة قصصية (٢٠٠٣)، "موسم الهجرة إلى أي مكان"، مجموعة قصصية (٢٠٠٦)، "الحاءات الثلاث"، أنطولوجيا القصة المغربية الجديدة (صادرة في ثلاثة أجزاء على ثلاث سنوات ٢٠٠٦ - ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨)، "تاريخ التلاعب بالامتحانات المهنية في المغرب" (صادر في جزأين ٢٠٠٩ - ٢٠١١)، "موت المؤلف"، مجموعة قصصية (٢٠١٠).

له قيد الطبع: "المدرسة الحانية: مدرسة القصة العربية الغدوية" (عن دار السندباد بالقاهرة)، "حوار جيلين" (مجموعة قصصية مشتركة مع القاص المغربي إدريس الصغير)، "ضفائر وشوارب" (مجموعة قصصية مشتركة مع القاصة المغربية زهرة زيراوي)...

أشرف على الترجمة الإنجليزية للنصوص القصصية المكونة للقسم المغربي في أنطولوجيا "صوت الأجيال: مختارات من القصة الإفريقية المعاصرة" *Speaking for the Generations* التي أعدتها جامعة أوليف هارفيه بولاية تشيكاغو الأمريكية ونشرتها دار نشر "ريد سيه بريس" و"أفريكا وورد بريس" في ترنتن بولاية نيو جيرسي الأمريكية، يونيو ٢٠١٠.

كما أشرف على ترجمة خمسين (٥٠) قصة وقاصا مغربيا إلى اللغة الإنجليزية ضمن أنطولوجيا "الحاءات الثلاث: مختارات من القصة المغربية الجديدة" وهو مشروع ثلاثي الأجزاء صادر في نسخته الورقية العربية على ثلاث سنوات: "أنطولوجيا الحلم المغربي" سنة ٢٠٠٦، "أنطولوجيا الحب" سنة ٢٠٠٧، و"أنطولوجيا الحرية" سنة ٢٠٠٨ تقصد منذ بداياته، تحقيق ثلاث غايات أولها التعريف بالقصة القصيرة المغربية عالميا؛ وثانيها التعبئة بين أوساط المبدعات والمبدعين المغاربة لجعل المغرب يحتل مكانته الأدبية كعاصمة للقصة القصيرة في "المغرب العربي" إلى جانب الجزائر عاصمة الرواية وتونس عاصمة الشعر؛ وثالثها التأسيس ل"المدرسة الحانية"، "مدرسة" قادمة للقصة القصيرة الغدوية عبر هدم آخر قلاع العتمة في الإبداع العربي (الحلم والحب والحرية) واعتماد هذه "الحاءات الثلاث" مادة للحكي الغدوي التي بدونها لا يكون الإبداع إبداعا.

عنوان الموقع الإلكتروني: <http://www.rahani.ma>

العنوان البريدي: ص.ب ٢٥١، مدينة القصر الكبير ٩٢١٥٠ / المغرب